العرب
الإثنين 2021/08/16
السنة 44 العدد 12150

أسئلة حكمت نعيم تواجه غربتها في لوحات تعبيرية

فنان سوري يجعل من القماشة وطنا حاضنا للغياب

يحاكي الفنان السوري حكمت نعيم بألوانه وفرشاته المجتمع والبيئة المحيطة، تجربة في الحداثة الفنية غنية بالحس الداخلي، استخدم فيها الفنان خامات مختلفة وقدّمها ضمن مجموعة كبيرة من المعارض الفردية والجماعية التي أظهرت تجربته الفنية التي اكتنفها الوضوح، حيث تتعايش في أعماله الواقعية مع التعبيرية، كما اختبر التجريد لتكون خياراته امتدادا لهذه المدارس الثلاث.

غريب ملا زلال
كاتب سوري

شخوص تستمدّ حضورها من الذاكرة

العمل الفني إذا لم تسافر إليه بحب وعشق وكأنك ذاهب للقاء بحبيبتك لن تسافر فيك، أو على الأقل أن تكون بنزهة مبهرة إليها حينها ستجد كيف أن أساريرها تنفتح لك إلى مداها، وكيف أن أريجها تبدأ بتغطية مسامات روحك كلها، التأمل وحده لا يكفي، والشم وحده لا يكفي، واللمس وحده لا يكفي، لا بد من الحواس العشرة أن تحضر وترافقك في نزهتك هذه.

فالسعي إلى عالم موجود في اللازمكان هي توطئة أولى لرفض ذلك النمط من الحياة المفعم بروح السيطرة، فالاحتجاج لا بد أن يعلن عن ذاته، فهو قائم حيث تقيم الوقائع والقوانين المقيدة بمسار واحد والتي لا تتطلب إبداعا، أو بأفق واحد والذي لا يستفيض بتجارب وأساليب سابقة، أو برب واحد والذي لا يملك هندسة فنية لعمارته، فقط يعرض رؤيته في قالب واحد، وعلى الرؤى كلها أن تصب به وفيه.

قلق من الآتي

العمل الفني وطن لا يقبل إلاّ أن يكون للجميع، للمربع والمستطيل والمثلث والدائرة، للأبيض والأسود والأحمر والأصفر، ومؤهل لتحقيق آمالهم وطموحاتهم جميعا، تلك التي لا تندرج ضمن قائمة الأوهام، بل إدراك للجوهر إن كان للإنسان أو للطبيعة خصوصا في طوره الإبداعي الانتقالي لخلاصة مؤداها أنه وحده يملك حرية أن يكتب أو يرسم حياة جديدة مهما كانت تومئ بقساوتها.

لم يكن هذا الكلام بوحا ما، ولا مراوغة للتربّص بجو يملؤه الحلم الكئيب، ولا تدخلا من خارج النص في تفاصيل تتجاذبها الحقيقة ورموزها، وتحكمها ريشة فنان تذرف الدموع والورود معا، وإنما هو اقتراب من أعمال لا يمكن نفي حضورها، إن كان بطعم النوح، أو بطعم النشيد.

كل ممّا سبق ذكره هو اقتراب من أعمال الفنان التشكيلي السوري حكمت نعيم، علها تُتيح لنا من إمكانية كشف عوالمها الداخلية وما تحملها من تفاصيل تلحق الفائدة بها كمنجزات فنية بحياة جديدة، كأشكال إبداعية تدرك أهميتها لا من حركة الأفكار التي تطوف في محرابها فحسب، بل بما تولدها من خطوات فنقطفها ونخطفها لنجري بها، وبما تبقى من صداها ونمضي.

نعيم لا يقود عمله، بل العمل هو الذي يقوده إلى دراما روحية عميقة في ظلها يجد حريته بآمالها وطموحاتها الإنسانية، كاشفا بوضوح وبلا هوادة الضجيج الفارغ للأفكار السوداء ومقولاتها التي غدت انعكاسات لتطلعات ميول خلقت من المآسي والعذابات، فبدا كل شيء وكأنها إضافات لرواسب واقعية فيها تفاقمت الاحتجاجات والاستياءات كبداية للتغيير.

ويعرب نعيم عن قلقه في كل خطوة يخطوها إلى الأمام وهو في حالة من الاستيعاب الفني لكل جوانب وظواهر الحياة، يعرب عن تلك المحاولات الجادة الدؤوبة التي قادته إلى نتائج إيجابية مذهلة، إن كانت في عمقها وأصالتها، أو في مجال تطوير أسلوبه الفني.

منجز نعيم غني بالموسيقى والإيقاعات الجديدة، وهو يضيف عليها صوره المجازية التي فيها تتجلى عناصره الجمالية التي تستهويه لا بوصفها سطوة للترميز والغموض، ولا بوصفها لعبة مغالاة ومبالغة فنية تلهث وراءها تركيبات بنائية معقدة إلى حد ما.

إنما بوصفها مجازات تعني المضي بالحالة الإبداعية إلى ما يولدها إن كانت رغبة في الإبهار، أو إرغاما على التجاور داخل فضاءات المنجز، بوصفها مجازات يستحضرها نعيم وفق ما تمليه عليه تحوّلاته من الجدل الممكن والمفترض بين وعيه ولاوعيه، أو بما توهمه من تصاوير يكدسّها حتى تنفرج وتنفجر كاستيهامات فردية تكاد تشكل استراتيجيته في البناء والخلق، ويروّج لها نعيم مزدهيا بحداثتها، معتمدا على إحياء الوقائع كظواهر كبيرة تدفع به إلى أمكنة ومسافات متجاورة وجديدة، إلى أمكنة ومسافات أكثر اشتقاقا وأكثر توثيقا سيجاهد الفنان كثيرا في تجسيدها بعيدا عن الوقوع في براثن كل ما يمكن أن نسميه ويلات العملية الإبداعية ومحنها.

تصوّرات سيميائية

إذا كان المنجز الفني كيان زاخر بالروح والحركة، طافح بالانفعالات والاندفاعات التي تحمل معانيها من صور ورموز لها دلالاتها وإيقاعاتها، فهو عند حكمت نعيم حشود كيانات رابضة في العمق يستعصي تحديدها أو ضبطها، أو مسك تلابيبها.

فلا بد هنا من انتظار الكشف المتّشح بغلالة من الغموض، الكشف الذي ينشد الإبهار والإيهام معا، والذي يشير إلى التشكلات على نحو إيماء ما أو أسئلة تواجه غربتها، لا بد من النفاذ إلى دواخل منجزه ورصد القوانين التي تديرها، فكل الدروب القريبة منها أو البعيدة تمضي إلى استعاراتها، إلى مقرراتها، مساهمة في فرز احتواءاتها مهما تكتمت عن مقاصدها، فلا بد من مرادها أن تفي حاجاتها، ولا بد من وجودها أن توهم قارئها بأن مجمل طروحاتها ما هي إلاّ محصلة أبعادها ومعانيها، فهي تفتح مجراها بين أشتات من تصوّرات سيميائية منتزعة من فاجعتها وقدرتها على التوزيع والتبئير حتى يقع لحظة الاكتفاء مغشيا عليها.

نعيم يلوّن رؤاه بمواقف كامنة في نبرة النوح وتفاصيلها التي تحكمها الهول الذي يتوسّع على سطوحه وكأنه دفق دلالي يبتني رحيل الشمس، ويتوسّل مقاصده بتكثيف العتمة وكأنها حقول تغزو منجزه وشخوصه، وهذا يعني كم يستعصي عليه إذا فكّر في توليد نهار ما، فالإفراط في استخداماته قاتم، والفناء يومئ بشموع مطفئة، وعليها تتعالق الملفوظات لتبني صورا موغلة في الكآبة، وأحلاما مكسورة إليها تشير مجسداته المتّشحة بالظلمة.

> حكمت نعيم لا يقود عمله، بل العمل هو الذي يقوده إلى دراما روحية عميقة في ظلها يجد حريته وطموحاته الإنسانية

فثمة شعور أو إحساس تسكنه وتدفعه نحو التخلّص من الأطر المألوفة، والهروب إلى الأنا كينبوع رافد للإيقاع، قائم على التغاير الذي يبعده عن الإغراق في الرتابة، فالحال أنه يحتمي بالوحدة، علّه يخرج من عالم الموتى عائدا إلى عالم الأحياء، أو كأنه تموز تريد عشتار تسليمه لسدنة العالم السفلي، وهو الذي جاب الأرض نائحا وهام في المروج وهو يبكي قائلا "أقيمي المناحة / أيتها المروج، أقيمي العزاء / أقيمي المناحة".

نعيم يضعنا في حضرة منجزه بإلحاح يمدّه بإيقاع خاص وبرموز تكثّف فاجعته التي هي فاجعتنا أيضا، الفاجعة غير القابلة للتأويل، فهي تحمل في صميمها كل الاختزالات لاسيما طرائق تلقفها لخطابات فيها تتجلى رؤيته وتسللها إلى جسد منجزه كله.

عنه يقول الفنان التشكيلي والنحات السوري أسامة عماشة "تتميّز أعمال نعيم بأسلوبه التعبيري الانطباعي وجمالية ألوانه ومتمماتها واشتقاقاتها مع الحضور الجميل للجانب الوجداني الصوفي وعالم الحلم والطرح الجاد للمرأة والعلاقة الوجدانية الصادقة مع الرجل".

والفنان حكمت نعيم من مواليد السويداء 1973، وهو خريج كلية الفنون الجميلة قسم التصوير من جامعة دمشق عام 1997 وعضو اتحاد الفنانين التشكيليين، وله أكثر من سبعة عشر معرضا فرديا ومشاركة في الخط العربي، وأعماله مقتناة في مجموعات خاصة وعامة داخل وخارج سوريا، وهو مدرس سابق في معهد التربية الفنية التشكيلية والتطبيقية في السويداء ومحاضر في كلية الفنون الجميلة الثانية بالسويداء منذ عام 2010 حتى عام 2015، وعمل في التصميم والتصوير الفنيين.

ضجيج الأفكار السوداء

فنان مغربي يجمع الرسم والشعر والموسيقى في «مقامات حروفية»

الرباط - يستعد الفنان الحروفي والشاعر المغربي عزالدين الجنيدي خلال الأيام القليلة القادمة لتقديم عمله الفني الحروفي الجديد تحت عنوان "مقامات حروفية".

ويتكوّن هذا العمل الإبداعي من ثماني عشرة لوحة من مختلف الأحجام يقدّم من خلالها الفنان/ الشاعر نظرة جديدة وتصوّرا مغايرا عن التشكيل الحروفي بأبعاده الفنية المعاصرة.

فالشاعر الذي يراقص الكلمات بكل حرفية، والخطاط الذي يلاعب الحروف بتقنية حداثية، والفنان التشكيلي الذي يهوى مزاوجة الحروف بالألوان ويعزف لها على آلة العود بكل نغمية، اختار في منجزه الجديد الجمع بين الفنون الثلاثة لتتعانق الكلمات بالألحان وبالألوان في كل واحد.

وعن هذا التوجه يقول "الاشتغال على هذه الأشكال الفنية العربية، الموسيقى والخط العربي ثم النظم الشعرية.. هي دون شك أبعاد تتقاطع في ما بينها رغم وجود اختلاف على مستوى التقعيد والتجنيس، إنها تشكّل نسقا من المتعة سواء مجتمعة أو متفرقة".

ويضيف "مجتمعة لأنها تعطينا فكرة عامة عن جزء هام من ثقافتنا العربية الزاخرة بالعطاء والإبداع عبر التاريخ، ومتفرقة لأنها تبيّن الجوانب المشرقة التي اشتغل عليها المبدعون تطبيقا وتنظيرا.. ما يهمني هنا هو حدود التلاقي التي يمكن رسمها بين هذه الأنماط الفنية الثلاثة وتقديمها في صورة جديدة نؤسس لها في إطار مشروع رؤية جديدة لإعادة النظر في الكائن، والتفكير بعمق في ما يمكن أن تكون عليه صورة المنتوج الفني العربي انطلاقا من هذه الرؤية التاريخية".

ويعتبر "مقامات حروفية" قفزة نوعية في مسيرة الشاعر والتشكيلي الجنيدي تتجاوز المعتاد إلى مجال حروفي معاصر أكثر حرية، ممّا يكشف عن بلاغة متعددة المعالم الفنية وعن موسوعة ثقافية ومعرفية وفكرية، وعن قدرة إبداعية بقدر ما أنتجته هذه التجربة من جديد فني ومن حمولة جمالية ذات خصائص متفرّدة تظهر حجم القدرات الفنية الهائلة للفنان/ الشاعر ومن تصوّرات ورؤى مركزية يبرهن بها على قوة هذا المسلك الفني في التشكيل العالمي المعاصر.

وعزالدين الجنيدي من مواليد سنة 1962 بالدار البيضاء، حاصل على الإجازة في الأدب العربي شعبة اللسانيات من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بعين الشق، انخرط في العديد من الجمعيات منذ طفولته، وكانت آخرها جمعية "الشعلة".

انطلقت مسيرته المهنية سنة 1994، حيث تقلّد خلالها عدة مسؤوليات، فكان أول مدير لمركب ثريا السقاط ومديرا للمركب الثقافي للمعاريف ورئيس المصلحة الثقافية بنفس المنطقة والمسؤول عن لجنة التنشيط الثقافي للمكتبة الوسائطية التابعة لمؤسسة مسجد الحسن الثاني وأول مؤسس للصالون الثقافي لمؤسسة مسجد الحسن الثاني، وهو يشتغل حاليا كرئيس لقسم الشؤون الاجتماعية والتنمية التشاركية ومدير المركب الثقافي عبدالله كنون بعين الشق.

واهتمامات الجنيدي متعددة، وتتنوّع مواهبه التي ترتكز على عمق عشقه لكل ما هو عربي عريق، وقد دخل غمار الفن التشكيلي في إطار مسيرته الجمعوية خصوصا في مجال الفن العربي وفن الحروف، شارك في العديد من المعارض للخط وعمل خطاطا في صحف مغربية ثم مارس العزف على العود.

وعن الخط العربي يقول الجنيدي "الخط العربي من الفنون العربية الأصيلة والتراثية التي يمتد تاريخها إلى القرن الأول الهجري، لكنها بلغت غاية الإتقان والجودة على يد الخطاطين المسلمين من العرب والأتراك والفرس..".

عزالدين الجنيدي

الموسيقى والقصيدة والخط العربي، كل لا يتجزأ في منجزي الفني

ويواصل "اتفق الفنان العربي على وضع قواعد ومعايير تتأسّس على مسألة قياس مساحة الحرف بعدد النقط والتي تكون عادة بنفس سمك القلم الذي يكتب به، فحرف الباء في خط الثلث مثلا اتساعه ست نقط، ممّا يعني أن طول الباء يجب ألا ينقص أو يزيد على هذا القياس، وحتى إذا جنح الخطاط إلى التطوّر فيكون ذلك دون خرق أو نبذ للأصول أو اقتلاع للجذور، فالخط العربي هندسة روحانية تضعف بالإهمال، وتتقوّى بالمران والجهد المتواصل، بعد أن وضعت له أنواع متباينة بتباين الأشكال والرسوم، كخط النسخ والرقعة والديواني وجلي الديوان والفارسي والكوفي والثلث والإجازة إلى غيرها من الأنواع الخطية الأخرى، وأنا عاشق لها جميعا بما تمنحه من جمالية وخصوصية لا يأتيها إلاّ الخط العربي".

أما الجندي الشاعر فقد تميّز شعره بالحكمة والعمق اللذين برزا خصوصا من خلال ديوانه "أبدا لن أسابق الجراح" سنة 2014، ثم تلاه "إشراقات في حضرة الخلوة" سنة 2016.

وهو الديوان الصادر عن دار "فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة"، بالعاصمة الأردنية عمّان، والذي أتى مصحوبا بقرص مدمج يحتوي على قراءات صوتية من الشاعر ذاته.

وعنه قال الباحث والناقد المغربي الشريف البشي "فادح هو العالم في مرآة الجنيدي، وأكثر مأساوية ما يخبّئه له الغد حين كان الاضطراب في نسغ تشوّفه. تذهب إليه العبارة دون اكتراث برماد المرحلة وتيهها والإحساس وفقها بضجر الوجود، لتنفتح على كل محتمل منقوع في الألم وحشرجة الوقت حيث أمبريالية الجملة الفعلية المنتصرة لتخوم النثري".

وأضاف البشي "هنا في هذه التجربة تنطرح الأنا 'المشعرنة'، في ما يشهد على مستقبليتها هي، وفقط هي وحدها، مع ترتيب جديد على مقاس الذوق الخاص بعيدا عن فوبيا الرقيب، هو هنا يرسم نوستالجيا العودة المشبعة بالميثولوجي في استعادة لا تفسّر للسفر إلى 'إيثاقاه'، مدينته المحلوم بها، تعادلها موضوعيا هنا الذات الشاعرة، سكنتها حالة من الاغتراب الوجودي وقلقه".

نظرة معاصرة للخط العربي